مجلة حيدر آباد

ISSN No:

مجلة عربية إلكترونية فصلية بحثية محكمة

قسم دراسات العرب

جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية، حيدر آباد، الهند

العبارة الصوفية في ريعان الشباب

سطوت جنيد [1]

المقدمة

يعد التجاني يوسف بشير واحدا من أبرز الأصوات الشعرية في السودان والعالم العربي الحديث، إذ شكلت تجربته الشعرية نموذجا فريدا لتداخل المعاناة الوجودية مع الرؤيا الصوفية العميقة. فقد عاش الشاعر حياة قاسيةاتسمت بالفقر والتهميش، غير أن هذه الظروف لم تخمد صوته الإبداعي، بل أسهمت في تشكيل حساسيته الشعرية ورؤيته الكاشفة للوجود والإنسان. ومن هنا، تبلورت تجربته بوصفها تجربة شعرية ذات بعد مأساوي، انصهرت فيها الذات الفردية مع هموم الإنسان الكونية.

وتتجلى أهمية تجربة التجاني في قدرته على تحويل الألم إلى طاقة إبداعية، وعلى توظيف التصوف بوصفه أفقا معرفيا وجماليا يتجاوز به حدود الواقع المأزوم. فقد جاءت لغته الشعرية مشبعة بالإيحاء والرمز، قائمة على الانزياح والدلالة العميقة، بما يجعلها نصا مفتوحا على التأويل، ومجالا للكشف والرؤيا. كما أسهم في تجديد بنية القصيدة السودانية، ناقلا إياها من أسر التقليد إلى رحابة الحداثة، دون أن يفقدها بعدها الوجداني الأصيل.

وينطلق هذا البحث من دراسة العبارة الصوفية في شعر التجاني يوسف بشير، بوصفها أداة للكشف عن أعماق التجربة الروحية، ومحورا لفهم جدلية العلاقة بين الذات والعالم، وبين الظاهر والباطن. كما يسعى إلى إبراز تجليات الغربة الوجودية، والصوفية المرآوية[2]، والتجلي بالعبارة، بوصفها محطات أساسية في بناء تجربته الشعرية. وبذلك، يهدف البحث إلى تقديم قراءة نقدية تكشف أبعاد هذه التجربة، وتضيء خصوصيتها ضمن سياق الشعر العربي الحديث.

الكلمات المفتاحية: الصوفية، يوسف تجاني بشير، الأصوات الشعرية، السودان، العالم العربي الحديث.

---

[1] باحث قسم اللغة العربية، جامعة اللغة الإنجليزية و اللغات الأجنبية، حيدرآباد

[2] يوسف بشير التيجاني.ديوان إشراقة.المطبعة ا لوطنية خرطوم ص 3

كان التجاني يوسف بشير، مركزا على البعد المأساوي في حياته وأثره العميق في تشكيل رؤيته الشعرية. فقد عاش التجاني حياة قاسية اتسمت بالفقر والتهميش والحرمان، فعاش في هوامش مدينة أم درمان[1]، يعمل في مهن شاقة لا تتناسب مع موهبته الشعرية، إلى أن انتهت حياته مبكرا. وقد رسخت هذه المعاناة صورته في الوجدان السوداني بوصفه شاعرا مأساويا نقيا، تحيط بمأساته عاطفة جماعية صادقة، رغم صعوبة شعره وكثافة لغته.

انعكست هذه الحياة الضنكيةعلى شعر التجاني، فجاء شعره محملا بأصداء الحزن والقلق الوجودي، ومعبرا عن اغتراب حاد عن العالم. غير أن هذا الاغتراب لم يتحول إلى انكسار سلبي، بل انصهر في تجربة شعرية مغايرة، صاغ فيها الشاعر لغة شفافة ومتماسكة، تقوم على رؤيا كشفية ذات نزوع صوفي. وقد بدت قصائده، في وحدتها العضوية، وكأنها نص واحد متصل، ينبع من نُسغ دلالي مركزي يتأمل الوجود والموت والإنسان.

ويعد التجاني من رواد التجديد في الشعر السوداني الحديث، إذ أسهم مبكرا في نقل القصيدة من الرتابة التقليدية إلى آفاق حداثية، دون أن يقطع صلته بالروح الوجدانية العميقة. وقد تركت تجربته أثرا واضحا في عدد من الشعراء العرب، من أبرزهم محمد الفيتوري وصلاح عبد الصبور، لا سيما فيما يتعلق بالرؤيا الصوفية والسعي إلى معانقة المطلق، كما تجلى ذلك في قصيدته الشهيرة الصوفي المعذب.

ويمثل التجاني حالة متفردة في الشعر العربي الحديث، تشبه في ملامحها تجربة أبي القاسم الشابي، إذ عاش تجربة وعي مبكرة وناضجة، جعلت من شعره مرآة صادقة لمعاناته الداخلية، وأداة لكشف الحقيقة الإنسانية. وهكذا غدا الشعر عنده فعل مقاومة للعتمة، ومحاولة لتجاوز واقع مأزوم، واستبطانا عميقا لتجربة روحية تبحث عن المعنى والصفاء في عالم مضطرب،

التجربة الشعرية الصوفية

---

[1] هزي رياض .التيجاني يوسف بشير شاعرا و ناثرا.دار الثقافة بيروت .ص19 --20

التجربة الشعرية الصوفية عند التجاني يوسف بشير[1]، مبرزا قدرته على تحويل الحدث المأساوي إلى طاقة داخلية مؤثرة تنعكس أولا في ذاته ثم في وجدان المتلقي. ويؤكد أن علاقة التجاني بالشعر لا تقتصر على الكتابة، بل تتجاوزها إلى جعل النص فعل كشف ورؤيا، حيث يغدو الشعر الصوفي مجالا للحضور المأمول لا للغياب.

كما يوضح أن شعر التجاني يقوم على الانزياح عن الواقع واللجوء إلى التصوف بوصفه وسيلة لاختراق أسرار الذات ومساءلة الوجود[2]، في صور شعرية مكثفة تنفتح على التأويل. وتتجلى في شعره ثنائية الوعي بالذات والوعي بالعالم، وصراع الشاعر مع زمن مأزوم وواقع زائف، ما يدفعه إلى البحث عن الحقيقة الغائبة والوجود المطلق.

أن العوالم الشعرية عند التجاني هي عوالم مواجهة وسؤال، تتأسس على الخطف والتيه والحنين إلى الطهر والبراءة، حيث يتماهى الشعر بالروح، ويتحول إلى بديل خلاق عن عالم مشوش، محمل ببعد فلسفي ورؤيوي يعكس عمق التجربة الوجودية والصوفية للشاعر.

قلق الغربة عند التجاني يوسف بشير

قلق الغربة ظاهرة بوصفها محورا أساسيا في تجربة التجاني يوسف بشير الشعرية، حيث تشكلت هذه الغربة من تداخل عوامل نفسية واجتماعية واقتصادية وسياسية. فقد عانى الشاعر الفقر والحرمان، والإقصاء الثقافي، والظلم الاجتماعي، إضافة إلى إحساسه بالاغتراب داخل وطنه، ما ولد في داخله غربة نفسية عميقة سبقت غربته الاجتماعية.

وتتجلى هذه الغربة بوضوح في قصيدة **دنيا الفقير**[3]، التي تصوّر بؤس الإنسان المسحوق، وانكساره الداخلي، وتوقه المكبوت إلى الجمال والكرامة، في مقابل واقع قاسٍ يسوده الحرمان والخيبة. وقد لازمت هذه المعاناة الشاعر حتى أصبحت جزءًا من كيانه النفسي، فعمّقته الكآبة، وتكاثفت لديه مشاعر اليأس والقلق والتيه[4].

[1] عبد القادر فيدوح. العبارة الصوفية في شعر التيجاني. قطر، ص3-4
[2] هزي رياض. التيجاني يوسف بشير شاعرا وناثرا. دار الثقافة بيروت ص72
[3] يوسف بشير التيجاني. ديوان إشراقة. المطبعة ا لوطنية خرطوم ص58
[4] هزي رياض. التيجاني يوسف بشير شاعرا و ناثرا. دار الثقافة بيروت ص37

غير أن التجاني لم يستسلم تمامًا لهذه السوداوية، بل سعى إلى تحويل اليأس إلى معنى عبر الرحلة الصوفية، فاستبدل المعاناة المادية بالمجاهدة الروحية، واتجه نحو التوحد بالمطلق بحثًا عن السكينة والاطمئنان. ومن هنا، اتخذ التصوف ملاذا وجوديا لتعويض غربة الواقع، والارتقاء نحو عالم الصفاء والحقيقة.

ويخلص النص إلى أن غربة التجاني ليست حالة عابرة، بل هي غربة وجودية تعكس شعور الإنسان الحديث بالانفصال عن العالم، وتكشف وعيا حادا بعدوانية الزمان وقسوة الكون، ما دفع الشاعر إلى الاحتماء بعالم الروح بوصفه المركز الثابت والأبدي الذي يمنح الوجود معناه.

الصوفية المرآوية عند التجاني يوسف بشير

مفهوم **الصوفية المرآوية** في شعر التجاني يوسف بشير، حيث يغدو الشعر مرآةتكشف باطن الشاعر عبر ظاهر عباراته، في صراع دائم بين وعي الواقع ووعي الكشف. فالتجربة الصوفية عنده ليست هروبا لغويا، بل تجاوزٌ للواقع المأزوم وسعي إلى التسامي عليه عبر لغة إشراقية تقوم على الحدس والإشارة لا على العبارة المباشرة.

ويبين النص أن التجاني يستمد لغته الصوفية من معاناته الحياتية المعقدة، ليحولها إلى خطاب شعري يتأسس على الشطح وانزياح الدلالة، حيث تنفصل الألفاظ عن معانيها المتداولة لتكتسب دلالات روحية جديدة. وبهذا ينتقل الخطاب من الوصف إلى الإشارة، ومن المعنى الظاهر إلى المعنى الباطن، وفق منطق التجربة الصوفية التي ترى أن العبارة تُخفي ما تكشفه الإشارة.

وتتجلى هذه الصوفية بوضوح في قصيدة **الصوفي المعذب**[1]، التي تقوم على رؤيا كونية قوامها الاتحاد والتجلي، حيث يثبت الشاعر حضور ذات الحق في ذات الخلق، وتتحول الطبيعة إلى وسيط إشراقي للكشف الروحي. ويستند هذا التصور إلى فكرة الكمال المطلق للحق، مقابل نقص الإنسان، مع بقاء الخلق مرآة لانعكاس الذات العلية.

[1] يوسف بشير التيجاني.ديوان إشراقة.المطبعة ا لوطنية خرطوم ص7

كما يبرز أن لغة التجاني الصوفية مشبعة بقيم الصفاء والخلوص والفناء، حيث يصبح الموت رجاءا، لا فناءا، لأنه بوابة العبور إلى الصفاء الأعلى وصفاء الصفاء. وفي هذا الأفق، تتحول مفردات مثل: النور، الماء، الصفاء، التجلي، إلى رموز للاتحاد بالمطلق، والتطهر من كدر الواقع، والارتواء من حقيقة الوجود.

أن الصوفية المرآوية عند التجاني تمثل ذروة تجربته الشعرية والوجودية، إذ تتداخل الرؤيا الصوفية مع الحس الجمالي والبعدالفلسفي، ليغدو الشعر وسيلة للكشف، ومرآة لانعكاس الحقيقة، وطريقا للفناء في نور الحق والاتصال بعالم الصفاء المطلق.

التجلي بالعبارة عند التجاني يوسف بشير

مفهوم **التجلي بالعبارة** بوصفه ذروة التجربة الصوفية في شعر التجاني يوسف بشير، حيث تصبح العبارة وسيلة كشف باطني، تنتقل فيها الحقيقة من حال البطون إلى حال الظهور عبر الحدس وعين القلب[1]. فالتجلي عنده يقوم على علاقة جدلية بين الحق والخلق، تنعكس فيها صفات الكمال الإلهي في مظاهر الكون والإنسان.

أن العبارة الصوفية عند التجاني لا تفهم بوصفها قولا لغويا مباشرا، بل بوصفها فعلا رؤيويا ينسق بين الظهور والكمون، ويحقق انسجاما داخليا بين الذات والكون. ومن هنا تتجاوز اللغة وظيفتها الاصطلاحية لتغدو لغة كشف وإشراق، مشبعة بالبيان والبرهان والعرفان، وقادرة على استبطان عوالم الملك والملكوت والجبروت[2].

وتبرز هذه الرؤية بوضوح في قصائد مثل **الصوفي المعذب**و**نفسي والله**[3]، حيث تتجلى العبارة بوصفها مرآة للتوحيد، واتحاد الإنسان بالعالم، وذوبان الذات في نور الحق. وتقوم الصور الشعرية على

[1] هزي رياض. التيجاني يوسف بشير شاعرا وناثرا. دار الثقافة بيروت ص 19 -20
[2] الدكتور محمد عبد الحي: الآثار النثرية الكاملة، ليوسف بشير التيجاني- مكتبة هبار الكتب الإلكترونية- السودان. ص170-180.
[3] يوسف بشير التيجاني. ديوان إشراقة. المطبعة ا لوطنية خرطوم ص 4

الحدس القلبي، والتفاعل مع الطبيعة، والانتقال بين المرئي واللامرئي، في مسعى دائم نحو اليقين والكشف.

كما يبين أن التجاني يجعل من الصفاء والتوحد والفناء مسالك أساسية في بناء عبارته الصوفية، بحيث تتحول النفس إلى إشراقة كونية، وتتجسد في صور الماء والنور والندى والتحول المستمر. وبذلك تصبح العبارة عنده أداة للعبور بين المعلوم والمجهول، وبين الظاهر والباطن، فيما يشبه**البرزخ الصوفي**، وصولا إلى التجلي الأعلى حيث يلتقي الإنسان الأصغر بالإنسان الأكبر.

أن التجلي بالعبارة يمثل اكتمال التجربة الصوفية عند التجاني يوسف بشير، إذ تتوحد الرؤيا الشعرية مع الرؤيا الوجودية، وتغدو اللغة نفسها مقاما من مقامات الكشف، ووسيلة للاتصال بالحقيقة المطلقة.

في الختام

وفي ختام هذا البحث، يتبين أن تجربة التجاني يوسف بشير تمثل نموذجا شعريا متفردا في الأدب العربي الحديث، حيث تداخلت المعاناة الشخصية مع الرؤيا الصوفية لتنتج خطابا شعريا عميقا ومفتوحا على أبعاد إنسانية وفلسفية واسعة. فقد استطاع الشاعر أن يحول قسوة الواقع إلى طاقة إبداعية، وأن يجعل من الشعر وسيلة للكشف والتأمل، لا مجرد أداة للتعبير.

كما كشفت الدراسة أن العبارة الصوفية عند التجاني ليست بناءا لغويا تقليديا، بل هي فعل رؤيوي يتجاوز حدود المباشر إلى فضاء الإشارة والرمز، حيث تتجلى العلاقة بين الظاهر والباطن، وبين الإنسان والمطلق. ومن خلال ذلك، برزت مفاهيم الغربة الوجودية، والصوفية المرآوية، والتجلي بالعبارة، بوصفها مرتكزات أساسية في تشكيل تجربته الشعرية.

وقد أكد البحث أن التجاني لم يكن شاعر معاناة فحسب، بل كان شاعر وعي مبكر، استطاع أن يستشرف أفقا حداثيا في الشعر، وأن يقدم تجربة روحية وجمالية أثرت في مسار الشعر السوداني والعربي على حد سواء. وبذلك، يظل شعره شاهدا على قدرة الإنسان على تجاوز واقعه المأزوم، والبحث عن الحقيقة والصفاء عبر دروب الفن والروح.

وعليه، فإن دراسة شعر التجاني تفتح آفاقا واسعة لمزيد من البحث في العلاقة بين الشعر والتصوف، وبين التجربة الفردية والهم الإنساني العام، بما يعزز فهمنا لطبيعة الإبداع الشعري في سياقاته الوجودية والثقافية.

المصادر والمراجع

أحمد محمد البدوي :التجاني يوسف بشير: لوحة وإطار .المطبعة الفنية، الخرطوم، 1980.

بدرالدين يوسف السيميت :التجاني وترا من النأي المقدس ومن بقاياالمرسلين.

عبد المجيد عابدين :التجاني شاعرالجمال .الطبعة الثالثة، مطبعة السعادة، القاهرة، 1962.

محمد عبد الحي: الآثار النثرية الكاملة ليوسف بشير التجاني، مكتبة هبار للكتب الإلكترونية، السودان.

محمد محمد علي :محاولات في النقد .مطبعة الثقافة والإعلام، الخرطوم، 1958.

هنري رياض :التجاني شاعرا وناثرا، دار الثقافة، بيروت.

محمد فهمي: روائع شعراء الجيل.

مقالات وأبحاث منشورة إلكترونيًا (أرشيف الإنترنت)

الخنصيف الحجية :التجاني يوسف بشير السوداني، نسخة محفوظة ٢١ أبريل ٢٠١٧ على موقع وايبا كميشن.

أحمدالتجاني—الشيخ أحمدالتجاني—سيدي أحمدالتيجاني—خاتم الأولياءالقطب المكتوم . نسخةمحفوظة 10 ديسمبر 2017 على موقع وايبا كميشن.

شعراء الفصحى في العصر الحديث، السودان، ديوان التجاني يوسف بشير .نسخةمحفوظة 2 يناير 2020 على موقع وايباكميشن.

التيجاني يوسف بشير.. إشراقة حياة .نسخةمحفوظة 28 يونيو 2017 على موقع وايباكمشين.

وصلات إلكترونية ومقالات صحفية

التجاني يوسف بشيرفي مئوية مولده–1912) (2012، أحمدعكاشة أحمد فضل الله،

موقع التحالف:

http://www.tahalof.org/cgi-bin/pages/page3.pl?arlang=Arabic&arcode=121007222230&argenkat=Articles نسخة محفوظة 28 مارس 2017

مقال في موقع المجمع الدولي للغة العربية، نسخة محفوظة 29 مارس 2017

https://web.archive.org/web/20170329045852/http://www.aabiclanguageic.org/view_page.php?id=43.

في مئوية التجاني يوسف بشير: اليقين والصوفية في شعرالتجاني يوسف بشير .موقع سودارس (نسخةمحفوظة 4 مايو 2013).

معجم البابطين للشعراءالعرب المعاصرين مدخل عن التجاني يوسف بشير، نسخة محفوظة 4 نوفمبر 2013.